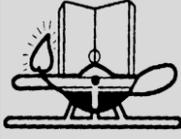


العنوان:	الليل في الشعر الرومانسي: دراسة تحليلية نقدية
المصدر:	حوليات آداب عين شمس
الناشر:	جامعة عين شمس - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	أبو هملاء، منى محمد عبدالله
المجلد/العدد:	مج45
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	يونيو
الصفحات:	380 - 403
رقم MD:	979826
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الليل، الشعر العربي، الشعر الرومانسي، الأدب الذاتي، الأدب المقارن، النقد الأدبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/979826

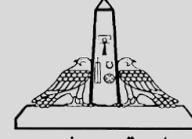


كلية الآداب

حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٧)

<http://www.aafu.journals.ekb.eg>

(دورية علمية محكمة)



جامعة عين شمس

الليل في الشعر الرومانسي (دراسة تحليلية نقدية)

منى محمد عبدالله أبوهملاء *

أستاذ الأدب والنقد المساعد- قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الملك فيصل

المستخلص

شغل الليل منزلته المنتظرة في القصائد العربية؛ وهو ما يؤكد على كونه من الموضوعات الشعرية الملهية والملهمة لمخيلة المبدع العربي، وقد تناوله شعراء العرب القدامى منهم والمحدثون، وظهر الليل أكثر ما ظهر في شعر الرومانسيين، ولم لا؟ وهو ملتقى المحبين إذا التقوا، وملتذذ ذكراهم إذا افترقوا، وقد انسابت ظواهر الطبيعة انسياباً متغلغلاً، لا ينفك عن الأدب الرومانسي، ومن أبرز سمات الرومانسية إسقاط معاناتهم، وخلع مشاعرهم على الطبيعية؛ فيصبحان هم وهي كيانا واحداً، فأنت تراه بعين الشاعر الرومانسي، على غير ما تراها عند غيره؛ إذ كادوا أن يتفقوا في نظرتهم لليل، على أنه هو الملهم والصاحب ومثير الإبداع والخلق الأدب؛ فجاءت قصائده مطعمة بذكر الليل وأثاره عليهم، فجاء هذا البحث لتناول أسرار الليل البلاغية، والأدبية التي جالت في أشعارهم.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الذاتي، الشعر الرومانسي، الأدب المقارن، الليل.

مقدمة:

باسم الله المقتدر، بديع السماوات والأرض، والصلاة والسلام على صاحب أعظم معجزة، وأفضل خلق، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، أما بعد:

فما زال الليل منحة إلهية، ينفضل بها على خلقه، ومن ذلك أن كان محركا لأصحاب القلوب المرهفة، فكان ملتجأ العباد والزهاد، وكان مهوى العشاق والمحبين.

وما الليل في الشعر العربي إلا محور الحركة، والحياة، وصورة متألفة من الصور الشاعرة في حياة الشاعر، وواجه الشاعر العربي الليل قديماً وحديثاً، فقد مثل الليل تارة رمزاً للخير وتارة للشر، ونحن أمام هذه التجليات نقف أمام مثل هذه الظاهرة الطبيعية، التي استطاعت أن تبرز بوضوح عند كثير من الشعراء، وخاصة هؤلاء الشعراء الذين عدوا الليل جزءاً من حياتهم.

وجاء هذا البحث مركزاً على الفئة الأخيرة، ألا وهي فئة المفتونين، أصحاب العشق والوله من شعراء العرب قديمهم، وحديثهم؛ فتناول من قدمائهم امرأ القيس والنابغة الذبياني، وبشار بن برد، وعوف بن الأحوص، وعمرو بن كلثوم، والفرزدق، وأبا الطيب المتنبي، وأبا العلاء المعري، وأبا فراس الحمداني، وأبا الحسن الحصري القيرواني وعرج على حديثهم، وكان للرومانسيين منهم القبلة، والمتوجه، من أمثال فدوى طوقان، وأبي القاسم الشابي، وجبران خليل جبران، وإيليا أبي ماضي، وعلي محمود طه، ومحمود درويش، وعبد الوهاب البياتي، وغازي القصبي.

ورام من وراء ذلك أن يجلي منزلة الليل لديهم، ويكشف عن شأنه عندهم، متوسلاً بذلك المنهج التحليلي النقدي الذي يضطلع بسبر أغوار العاطفة العربية، وقلب العاشق العربي تجاه الليل.

وتفجرت منابع البحث، فانبجثت منه، ثلاثة أعين، وهي المدخل والمبحث الأول، والمبحث الثاني، فجاء المدخل موضحاً لعظمة الليل، بوصفة آية من آيات الله العظيمة، وأهم فوائده، وحفاوة القرآن الكريم به؛ بكثرة ما ورد فيه، وعلاوة على ذلك بتنوع مشاركته في الأسلوب القرآني، بينما جاء المبحث الأول، الليل في شعر العرب قديماً. متناولاً لليل لدى شعراء الرومانسية العربية القدامى، في الوقت الذي جاء المبحث الثاني، الشعر عند الرومانسيين العرب معالجا لليل في الشعر الرومانسي العربي الحديث.

والرجاء موصول بأن يكون ذلك البحث فاتحة خير لأعمال بحثية أحر، تعالج جوانب أخرى لم يتح لهذا البحث معالجتها.

وعلى الله قصد السبيل؛ فهو نعم المولى ونعم النصير.

مدخل:

الليل آية من آيات الله في ملكوت السماوات والأرض، التي تعكس قدرة الخالق، وتبرز جمال صنعه، وتفرد خلقه، وجلال سلطانه؛ لذا فقد كان حقيقاً بأن يستأهل منزلة رفيعة في القرآن؛ فقد تكرر اثنتين وتسعين مرة^(١)، منها:

وقوله تعالى: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾) [آل عمران]

وقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩٠﴾) [آل عمران]

وقوله تعالى: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾) [الأنعام]،

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ لِيُبَيِّنَ بِمَحْوَنَاتٍ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّيَتَّبِعُوا فُضُلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾) [الإسراء]

والليل نعمة عظيمة قد يغفل عنها كثير من الناس، والليل فترة زمنية يغشى فيها الظلام كل شيء في الكون؛ فتلجأ المخلوقات للراحة والسكون من عناء نهار طويل. ولليل فوائد جمّة، وعوائد حسنة للإنسان والحيوان والنبات، ومنافعه للبشر شتى نعرف بعضها، ويغيب منا كثير عناها؛ فلا نستطيع إدراكها ولا حصرها، إن تجول بصرنا في كتاب الله المنظور.

وإذا تأملنا كتاب الله المسطور سنجد أنه ذكر الليل كآية معجزة مفردا له بالتدليل على عظمته، كما ذكره مع آيات أخرى، ومن الآيات التي جاء به مفردا، مقسما به قوله جل من قائل: (وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾) [المدثر]، (وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾) [التكوير] (وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾) [الشمس]

أما عن مجيء الليل بصحبة آيات أخرى، التي تأتي مساندة، ومعززة لإبراز قدرة الله، فهي كثيرة (وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾) [الليل] وقوله تعالى: (وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾) [الضحى] (وَالفَجْرَ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٌ ﴿٢﴾) [الفجر] بل ليس أدل من أن تسمى سورة من سور الكتاب العزيز باسمه؛ فكانت سورة الليل.

ورغم تكرار لفظه في التنزيل الحكيم فإنه في كل مرة، يتناوله بطريقة مختلفة تنثري المعنى، وتوسع إدراكنا لفهم حقيقته، فانظر إلى هذه الحركة الدائبة في قوله: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَّارُ ﴿٥﴾) [الزمر] (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾) [الحديد]

وقد يستخدم أساليب بلاغية أخرى من شأنها أن تظهر الليل بصورة مختلفة: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾) [القصص]، فلا شك في أن الاستفهام الإنكاري يوصلنا لاعتراف وبقين بتفرد الله بهذه القدرة، واختصاصه بها، فلا ينصرف الذهن لغيره.

وفي آية أخرى يظهر لنا فوائد الليل: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾) [النبأ] (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾) [القصص] (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾) [يونس]

لقد بلغ الليل شأوا بعيدا، حين ارتبط بالسكون والهدوء والطمأنينة، ينشد فيه الناس راحتهم إثر نهار شاق، فتهدأ نفوسهم، وأجسامهم من كثرة الحركة بالنهار، والسعي وراء الرزق؛ لذلك جعل الله ﷻ الليل ساترا كاللباس، يعم الكون ويشمل المخلوقات كما يقوم اللباس بستر الأبدان، كما جعله يغشى الوجود أي نعم ظلمته، فتقطع الحركة، وتستنكين الجوارح، وتطمئن النفوس؛ لتحيا من جديد، وتزاول نشاطها إلى أجل مسمى.

وقد اتخذ القرآن من الليل مدعاة للعبادة والإخلاص، والانصراف لله وحده لا شريك له؛ لأن الله وحده هو الذي أنعم علينا به، وجعله لباسا وسكنا، وطالما الأمر كذلك فمن باب أولى انصراف العبادة إليه؛ إذ لا تصلح إلا للمنع الذي حباننا دون غيره بها. وقد ذكر القرآن ظاهرة النوم في معرض الامتنان علينا، فالليل آية من آيات الله التي تدل على إثبات ضرورة النوم للإنسان، ومن يخالف هذه الفطرة فقد يتضرر؛ فالنوم متحقق للمرء دون اختياره، بل أكدت الدراسات الحديثة على أن النوم في الظلام يحسن نشاط جهاز المناعة عنده، ويؤدي إلى زيادة مخزون الطاقة، ويجدد الخلايا التالفة في الجسم، ويساعد على تخلص الدم من السموم، وعلى استرخاء البدن، وهدوء الأعصاب، ويريح العينين، ويقوي البصر؛ لهذه الأسباب مجتمعة كان الليل حقيقا منا بدراسة تبرز دوره في الشعر العربي خاصة؛ ولقد اقترن الليل بالإعجاز على مستوى اللفظ وعلى مستوى المعنى من جهة، وعلى مستوى الإعجاز العلمي من جهة أخرى.

المبحث الأول: الليل في شعر العرب قديما.

الليل عند العرب قديما كان له شأنه؛ فلقد وقف الشاعر العربي إزاء الليل، وما يثيره في نفسه وخواطره موقفا فريدا، جاء في خلال قصائده الطوال، له مفهومه الأولي من حيث هو زمن، وله مفاهيم مرتبطة بمعتقدات، وأوهام العقلية الجاهلية من جهة، وبمفاهيم مقترنة بقيم العرب وعاداتهم وموجوداته حياتهم من جهة أخرى، فكان ذا ألوان وأنماط متعددة، أبرزت المواقف الشعورية لدى الشاعر الجاهلي، كليل العاشق وليل المهوم، والساري، والصعلوك.^٢

فمفهوم الليل عند الجاهليين يدور في أقوالهم، وأشعارهم حول مستويات ثلاثة، هي الزماني، والمكاني والدلالي، فالليل بذلك، يحمل بعدى، موضوعيا، وهو ما يتمحور حول معاني العتمة والظلام، ونفسيا.. يجسد معاني الرهبة، والخوف من الظلام.

ويضاف إلى ذلك المعاني التي تحملها عناصر كالقمر والنجوم، فكان لها تأثير عظيم في حياة العرب ومعاشهم، كما ارتبطت تلك العناصر في فكر الجاهليين بتبدل الفصول وتغير المواسم وهطول المطر.

وعلى الرغم من طبيعة الليل الصامتة، فإنه يحمل في جوهره معنى الحركة والتغير، والتحول والفناء، والموت والحياة، وهو ما جعله مرتبطا في فكر الجاهليين، وأشعارهم بمفهوم الزمن، ومثلت الليالي وجه الزمان الباكي، وأداته التي تفعل فعله. والخوف من الليل له ما يبرره عند الجاهليين عامة والشاعر العربي خاصة؛ إذ إنه ارتبط في عقولهم بالشر والخوف من المجهول، ويؤكد ذلك ما ترسب في أذهانهم حول الليل.

ومن المؤكد أن الجاهليين قد تميزوا بفكر ديني ساذج، من خرافات وأوهام ومعتقدات جسدها الخوف في داخلهم، وهو ما يجيز القول: إن الليل يساعد على انتشار أهل الشر، والفساد، والغدر، والغيلة تحت جناح الظلام.

ويمكن أن يعد الليل في فكر الجاهليين، وأشعارهم هو المعيار الحقيقي لكثير من القيم الأخلاقية، التي يحرص علىها العربي ويقدسها؛ لأنها، في نظره تحقق له البقاء المادي والمعنوي، وتبلغه السيادة والشرف والسؤدد.

فكان يجمع الشاعر الجاهلي الليل مع النار في ثنائية متلازمة، فقد كانت النار أداة يتغلب فيها على الليل الذي يمثل المتاعب، والمآسي، والمعاناة، فهو رمز الفرقة والظلمة والغربة والقهر، وكيف سيبدد الشاعر هذه الظلمة؟

فكان عليه أن يوقد النار، التي أطلق عليها (نار القرى)، التي عُدَّت حينذاك أعظم مفاخر العرب، وكانت ترفع للسفر، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي عوف بن الأحوص:^٣
ومستتبح يخشى القواء ودونه من الليل باباً ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابي أن يهر عقورها

والليل هنا بظلامه وعمته هو باب، والباب يعني الدخول منه إلى أجواء الأمان والطمأنينة والخروج إلى حيث النور والفرج، ولكن لماذا تراكم كل هذا الظلام أمام الشاعر؟ والصورة التي أمامنا أن هذه الصور لا بد أن تفضي إلى أن نار القرى التي يشعلها الإنسان ما هي إلا منفذ وباب من أبواب الفرج؛ لطرد ظلمة الليل، ولذلك كلما بعث الليل همأ وخوفاً ورعباً، سدت عليه النار بضياؤها، وبالأمل المنبعث منها، والمعقود عليها السبيل للوصول إلى قلب الإنسان والعبث به، وبذلك تكون النار الملازمة لهذا الليل الطويل رمزاً لمشاعر الإخوة الإنسانية.

ولم يتوقف الشاعر عند نار القرى، وإنما وجدنا الحرب، إذا كان يشعلها العرب ليلاً كنار القرى للإنقاذ ودفع الخطر والموت، غير أن هذه النار كان فعلها جماعياً، في حين كان فعل نار القرى فردياً، فكان العرب إذا توقعوا خطراً، وأرادوا الاجتماع، أو الحرب، أوقدوا ناراً على جبلهم ليلاً؛ كي يبلغ الخبر، وفي هذا يقول عمرو بن كلثوم:^٤
ونحن غداة أوقد في خزاز رفدنا فوق رفد الرافدين

وها هو امرؤ القيس، (ذو القروح)، الملك الضليل يذكر الليل في معلقته بعد أن وصف لصاحبه شقاءه؛ بحبها مصوراً كيف يقتحم إليها الليل المخوف، ويسترسل في وصف الليل:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ونساء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل؟

فإن امرؤ القيس يتصور الليل كموج البحر، وقد أسدل الستور وعم الكون، لكن ليل شاعرنا مليء بالهموم والمواجع؛ لذا نراه يخاطبه مخاطبة العاقل، وقد استقى من البيئة البدوية أدوات تشبيهه، فالصلب والكلكل والأعجاز ما هي إلا سمات الناقة، التي طالما صحبته في حله وترحاله.

وقد دلتنا لفظة (تمطى) على كآبة وحزن الشاعر، وهي تعني (امتداد الليل وطوله) ونحن لا نشعر بالزمن إلا من خلال عواطفنا وخلجات نفوسنا، فالليل هو زمن لا يتغير، ويطول ويقصر حسب أحاسيسنا فيه، فكم من الأوقات مضت سريعاً مع من نحب! وكم من الأوقات تسمر فيها الزمن فلا حراك ونحن بانتظار أمر ما! ننتظر نتيجة الامتحان، أو نتيجة التحاليل، أو السفر، أو نكون بصحبة أناس بعدوا عن هشاشة النفس وأريحية التعامل؛ فيتحول الوقت معهم إلى بضع شديد.

وقد بلغت الهموم بامرؤ القيس مبلغاً لا يستطيع شروق الصبح تغييرها؛ لذا انظر إلى تصويره الثاني لطول الليل:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفقل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

"ويحس كأنه طال وأسرف في الطول؛ حتى ليظن كأن نجومه شدت بأسباب
وأمراس (الجبال) من الجنادل والجبال فهي لا تتحرك ولا تزول، كأنما سمرت في مكانها،
فهي لا تجري ولا تسير، وقد ردد الشعراء بعده هذا المعنى طويلاً"^(٥).
واسمع النابغة الذبياني حين قرن بين ممدوحه والليل، وكيف صور سطوة الليل
عليه، فهو يرى في الليل قدراً مبتلى به لا يستطيع الهرب منه حين يقول:
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ويلتفت بشار إلى الليل التفاتة مميزة، فلا يدعي بأن ليله طويل، ولا يبالغ في رسم
صورة الليل، لكنه يقدم لنا تعليلاً، يوازي عقلية الشاعر الجديدة في العصر العباسي، الذي
تأثر بثقافات المجتمع الحضاري الجديد، وهي ثقافات متنوعة، بسطت يد الامتزاج بها
فرصة للتأثر والتأثير:
لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم^(٦)

وبشار بهذا البيت نقلنا لواقعية التعبير نقلة نوعية، كان لرقى العقل العربي فيها
الحظ الأوفر.

وفي علاقة الليل بالنار يقول الفرزدق:^٧
لولا فوارس تغلب ابنة وأئل سد العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفتا على النيران

وهنا نرى العلاقة بين الليل والنار، ونرى أن نار الليل قد أدت وظيفة النجدة
والاستنقاذ لمن طلبها حربياً.

أما أبو الطيب المتنبي فيرى الليل رمزاً للرب والبيداء، وقد قرن الليل بالخيال؛ لأن
الخيال رمز للقوة والعزيمة:^٨
الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

في حين يرى أبو فراس الحمداني أن الليل هو فرصة للاختلاء بالنفس والتفكير
بهموم الحياة وانهمار الدموع للتفريح عن الألم والكد والكرب، ويقول:
إذا الليل أضواني بسطت يدي الهوى وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر

وكل هذه الأبيات توحى أن الليل هو مصدر الهم والتوتر والخوف، غير أن أبا العلاء
المعري كان يرسم صورة مختلفة لليل صورة جميلة حين يقول:^٩
علاني فإني بيض الأماني فنيبت والظلام ليس بفان
ربّ ليل كأنه الصبح في الحسن وإن كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشرغنا بدم هذا الزمان

ومنهم من تخيل ليل العاشق ممتداً بالقلق والهَمّ، وهي من روائع الأدب الأندلسي حين يقول:^{١٠}
يا ليل! الصبّ متى غده؟ أقيم الساعة موعده؟

المبحث الثاني: الليل في شعر الرومانسيين العرب.

كان الليل - ولا يزال - بما يحتويه من مظاهر كونية مصدراً غنياً للشعراء يستمدون منه المعاني ويستوحون الصور، وكثير منهم كانوا يتخذونه ملاذاً يفرون إليه من متاعبهم، كما اتخذوا منه أيضاً معبداً يتغنون فيه بقيم الجمال وآيات الجلال في شتى المظاهر؛ غير أن بعضهم نظر إلى الجوانب المظلمة منه فاتخذ من لفظه ستاراً يعبر بوساطته رمزا - عن كل ما يعجز عن التعبير عنه صراحة إزاء ما يعانيه من مشكلات الحياة في جميع وجوهها.

وفي هذا البحث وقفة على أبعاد هذا الرمز بشقيه الموضوعي والفني؛ وعلى ما يشير إليه لفظ الليل من دلالات موضوعية متنوعة ومتعددة تشمل المظاهر السياسية والوطنية والقومية بالإضافة إلى المظاهر الاجتماعية والذاتية، ومن خلال هذا هناك وقفة أيضاً على أثر هذه الجوانب، وانعكاسها على رؤى الشعراء، واتخاذهم المواقف الإيجابية والسلبية نحوها بوساطة التعبير الرمزي بلفظ الليل.

وسيتجلى كل ذلك من عرض تلك الدلالات وبسطها من خلال مجموعة من النماذج الشعرية لعدد من شعراء العالم العربي الرومانسي، من الأجيال المتعاقبة، التي تمثل اتجاهها من أهم الاتجاهات الفنية في الشعر الحديث.

وهنا وقفة يتضح من خلال ذلك أيضاً طريقة كل شاعر فيما عبر عنه - رمزا - من حيث تأثره بالطريقة الرمزية العربية، أو بالطريقة الرمزية غير العربية، أو تأثره بالطريقتين معا.

ويعشق الرومانسيون الليل، ولا يرون فيه أجواء خرساء؛ فلقد تجلى ذكر الليل أكثر ما تجلى، في شعر الرومانسية، وأصحابها، "والليل عند الرومانسيين يوحى بالانطلاق والتحرر؛ لأن النهار تتجلى فيه الموجودات محددة المعالم في وجود مقيد، والليل يمحو هذه الحدود، فيرتفع ستار الأسرار عن النفس بالإشراق الروحي والأحلام".^(١١)
ولا يختلف ليل فدوى طوقان عن رؤية العرب ليل وامتداده، لكنها تربط بين الليل والقلب في قصيدة "ليل وقلب"^(١٢):

هو الليل يا قلب فانشر شراعك واعبر خضم الظلام العميق
وجدف بأوهامك الراعشات في زورق ما به من رفيق

فالقلب يشبه الليل:

وأنتك كالليل شيء كبير	بعيد القرار سحيق سحيق
وفيك كألغازه المبهمات	أفانين من كل لغز دقيق
هو اجس مختلفات رؤاهما	تهوم طورا وطورا تقيق

وتكشف عن اتساع الليل واحتوائه للكون:
ولليل يا قلب أي امتداد
سرى واحتوى الكون في عمقه

يحيط بهذا الوجود العظيم
فلف البحار ولف الأديم

وتلح على تشبيه القلب بالليل، لكن هذه المرة تستخدم المقارنة:
وكالليل أنت حويت وجوداً من العاطفات كبيراً جسيم
ففيك السماء وفيك الخضم وفيك الجديد وفيك القديم
وتتظم الكون في خفقة وأنت بجنبني هنا لا تريم

ما أدق تعبيرها! وما أجمله!: "تتظم الكون في خفقة، وأنت بجنبني لا تريم" إنها لم تزل في وعي بالفن وأدواته التعبيرية، والليل جزء لا يتجزأ من الطبيعة (والنشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانتيين جميعاً، وذلك أن مبادئهم حب الخلوة واعتزال الناس، لأن المجتمعات مباءة ومثار المشكلات، وعبء على ذوي النفوس الرقيقة المشاعر).^(١٣)

فهذه فدوى، تطالبا بالإصغاء للطيور:
وأصغ معي في سكون الرياض وطير توشوش جناح الدجي
ويخفق ألحان أشواقها ويعصف بها الخريف تدب خطاه
وقد لفها غسق الغيب وتكشف عن همها المختبي
ليعصف بالزهر المعجب ويلوي بترجيعها المطرب

الطيور تبوح بهما لجناح الدجي، وخطى الخريف تدب عاصفة بالزهر الذي كان موضع إعجابنا، بل ويخفق الخريف ألحان أشواق الزهر المترنمة، فالخريف فصل سلب الطبيعة نضارتها، فتسقط الأوراق، وتتساقط معه أنفسنا. فلقد جعلت فدوى قصيدتها عبارة عن لوحات فنية، تحمل كل لوحة فكرة جديدة، تتعاقب مع بقية أفكار القصيدة، وفاقية تختلف عن الأخرى؛ مما يتيح لها النظم بحرية وتدفق.

ونحن ننتظر من الشاعر ما لا ننتظر من غيره، فالشاعر يعيد بناء عواطفنا ومفاهيمنا، ويرتب ما تبعثر من أفكارنا بأسلوب فني راقٍ، فاسمع لهذا الشاعر الثائر (الشابي)، الذي يحدد "فكرة الفنان"^(١٤):

عش بالشعور وللشعور فإنما عشاك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق وإنها لتجف لوشيدت على التفكير
وتظل جامدة الجمال كئيبة كالهيكل المتهدم المهجور
وتظل قاسية الملامح جهمة كالموت مقفرة بغير سرور

حقاً.. ما أقسى دنيانا من غير شعور يجعلها! وعاطفة توشحها؛ فتخفف من قسوة أحداثها، وجسامة وقعها على النفس. وللشاعر قلب مختلف، يستوعب صور الحياة وأشكالها مهما بدت متنافرة، متناثرة "قلب شاعر":

كل ما هب وما دب وما
من طيور وزهور وشذى
وبهار وكهوف وذرى
وضياع وظلال ودجى
وثلوج وضباب عابر

نام أو حام على هذا الوجود
وينابيع وأغصان تמיד
وبراكين ووديان وبيد
وفصول وغيوم ورعود
وأعاصير وأمطار تجود

والشابي شاعر ناضج التجربة رغم صغر سنه، واجه ظروفًا قاسية؛ بموت والده، وعاش صراعًا بين أحلام الشاعر وبين مسؤولياته إزاء أسرته، يقول معبرًا عن ذلك في "قيود الأحلام":

وأود أنا أحيًا بفكرة شاعر
إلا إذا قطعت أسبابي مع الـ
لكنتي لا أستطيع فإن لي
وصغار إخوان يرون سلامهم
فقدوا الأب الحاني فكنت لضعف

فأرى الوجود يضيق عن أحلامي
دنيا وعشت لوحدتي وظلامي
أما يصعد حنانها أو هامتي
في الكائنات معلقًا بسلامي
فهم كهفا يصعد غوائل الأيام

فإن هذا الاعتراف بالمسئولية لا يصدر إلا من نفس مفطورة على الإحساس بالآخرين، مفطورة على التضحية والإيثار، وهذه هي (الطبيعة الأخلاقية لتشيكوف وهي نفسها الطبيعة الأخلاقية لأبي القاسم الشابي، إنهما فنانون من معدن إنساني واحد، يشعران بأحزان الآخرين كأنهما أحزانهما، ويعطيان للحياة من جهدهما وحبهما ما قد يخفف ولو دمة واحدة، ولو لحظة واحدة من لحظات الألم التي يمر بها البشر).^(١٥)

فأبو القاسم الشابي شاعر رومانسي، لم يسلبه المرض إحساسه بالحياة وجمالها، ولم يمنعه مرض قلبه من الثورة على الفن، والثورة على الاحتلال الفرنسي في تونس، وهو بحق شاعر ثوري مجدد على المستويين "الذاتي والاجتماعي"، فتأمل هذه الدعوة لليقظة في قصيدته "سر النهوض":

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه
والحب يخترق الغبراء مندفعًا
والقيد يألفه الأموات ما لبثوا

عزم الحياة إذا ما استيقظت فيه
إلى السماء إذا هبت تناديه
أما الحياة فيباليها وتباليه

"وبذلك يكون الشابي من أبرز الشعراء العرب في القرن العشرين، الذين يشغلهم البحث عن فكرة شاملة، هذا البحث الذي هو دائمًا من شأن الشعراء الكبار، الذين لا يقنعون بأن يكون شعرهم مجرد انطباعات متفرقة عن مواقف الحياة المختلفة، بل هم يبحثون عن خيط، يربط تلك المواقف بفلسفة واحدة ووجهة نظر جوهرية في الحياة، ولقد استطاع الشابي أن يصل إلى هذه الفكرة الشاملة، التي أقتنته، وأمن بها وسماها "يقظة الإحساس"، وأصبحت يقظة الإحساس في نظره هي سر التقدم الحضاري والتقدم الفني".^(١٦)

فاسمع صرخة الشابي المدوية، التي لم تزل ترن في قلوب الأجيال قبل أسماعهم، بل أصبحت نبراسًا يستقون منه القوة والصمود "إرادة الحياة":

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
ولا بد ليلاً أن ينجلي
ومن لم يعانقه شوق الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد للقيد أن ينكسر
تبخر في جوها واندرثر

كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر

والشابي شاعر تجاوز عمره الزمني، وتخطى بفنه حدود بلده الجغرافية، وحلق في سماء الإنسانية الرحبة؛ وهو ما يجعلنا نرى بحق أن شعره عالم متميز، يحمل اتجاهات واضحة، سخية، تحمل من شجن الفن كما تحمل من عبقرية التفكير، وقد يلتقي مع شعراء آخرين في فكره، ولكنه أبداً يتفرد برؤية وتعبير وتصور مختلف، فارهف سمعك إلى ما يقول في حنو بالغ:

أنا كئيب، أنا غريب، كأبتي خالفت نظائرها
غريبة فني عوالم الحزن
كأبتي فكرة مغردة، مجهولة من مسامع الزمن
لكنني قد سمعت رنتها بمهجتي، في شبابي الثمل
سمعتها فأنصرفت مكتئبا أشدو بحزني كطائر الجبل
سمعتها أنه يرجعها صوت الليالي ومهجة الأزل
سمعتها صرخة مضععة كجدول في مضايق السبل
كأبة الناس شعلة ومتى مرت ليال خبت مع الأمد

فالحب والطبيعة والليل والمرأة والأحلام والذكرى والأسى معان وألوان ومشاعر وعوالم متباينة في شعر الشابي، لها في كل قصيدة شعور مختلف ولغة رومانسية خاصة؛ لذلك لا نعجب (فالأدب الرومانتيكي أدب الثورة والثورة هي الموجهة به والمسيطرة عليه، والرومانتيكيون هم أبناء الثورة شيوا في حجرها ورويت أفكارهم بدمائها).^(١٧) وقد اتضحت خصائص الرومانسية بجلاء في موضوعات فنية محددة عند الشابي مثل: الطبيعة، والحب، والحديث عن القلب، والموت؛ فالحب في شعر الشابي عاطفة تتطلع للكمال، وتتخذ من الحب انطلاقة روحية نحو المثالية (الحب)، كما تجلى دور الليل فيه:

الحب شعلة نور ساحر هبطت من السماء؛ فكانت ساطع الفلق
ومزقت عن جفون الدهر أغشية وعن وجوه الليالي برقع الغسق

ويترقى بالحب إلى درجة الألوهية يطوف بالدنيا، فيجعلها نجما جميلا من نجوم الليل:
الحب روح إلهي مجنحة أيامه بيضاء الفجر والشفق
يطوف في هذه الدنيا فيجعلها نجما جميلا ضحوكا جد مؤتلق
لولا ما سمعت في الكون أغنية ولا تآلف في الدنيا بنو أفق

وقد ارتبط الحب بالمرأة، والمرأة في شعر الشابي تتكون من الأحلام والأطياف والزهور، وهي ليست من جسد، بل من روح شفاقة، وليست مزيجا من الخير والشر، ولكنها خير مطلق وصفاء مطلق، وحبها ليس حبا حسيا، بل إنه لا يختلط أبداً بأي معنى من معاني الحس، إنه حب روحي شفاف، يسمو فوق نداء الغريزة، ويختلف عن ذلك الحب العادي الذي يعرفه الناس.^(١٨)

ففي قصيدة "صلوات في هيكل الحب" يصور المرأة، ويربط بينها وبين الليلة القمر الجميلة:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كالحزن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمرء كالورد كابتسام الوليد

امرأة الشابي مختلفة الملامح، غريبة السمات، مشتقة أوصافها من نضارة الطفولة، وعذوبة الأحلام، إنها شبيهة اللحن والصبح بما يحمل من جدة وتباشير، وهي متسعة كالسماء، شذية كالورد وابتسام الوليد.

وإذا انتقلنا إلى الليل في شعر الشابي، فالرومانسيون يحبون الليل، ولا يرون في الليل رحابا من الأجواء الخرساء المؤنسة التي تساعد على التفكير كما كان يرى (باسكال الكلاسيكي)، بل لأن الليل مليء بالأسرار التي لا تدرك، ولأنه مثار الأحلام، ويولعون بوصفه خاصة قبيل غروب القمر أو بعيدة، إذ تثور خواطرهم في هدأة الكون، حين تبدو الظلمات مشوبة بأضواء شاحبة في طريقها إلى الفناء، وهذا الفناء الذي يذكي الشعور بالموت يفتح أمام الرومانتيكيين باب الأبدية؛ لأنهم يعتقدون أن الحقائق الكبرى تتجلى في ظلمات الأحلام، وما ظلمات الموت إلا فجر الخلود.^(١٩)

لقد تحول الليل إلى إنسان يخاطبه في "شكوى ضائعة":

يا ليل ما تصنع النفس التي سكنت هذا الوجود ومن أعدائها القدر
ترضى وتسكت هذا غير محتمل إذا فهل ترفض الدنيا وتتحرر؟

إنه يشكو من الموت الذي ينتظره لليل:

وذا جنون لعمرى كله جزع باك ورأي مريض كله خور
فإنما الموت ضرب من حباته لا يفلت الخلق ما عاشوا فما النظر؟

ويخرج عن جادة العقل والصواب، فيخطئ في حق الله حين يقول:

هذا هو اللغز عماء وعقده على الخليقة وحش فاتك حذر
قد كبل القدر الضاري فرائسه فما استطاعوا له دفعا ولا حزروا
وخاط أعينهم كي لا تشاهده عين فتعلم ما يأتي وما يذر
وحاطهم بفنون من حباته فما لهم أبدا من بطشه وزر
لا الموت ينقذهم من هول صولته ولا الحياة تساوي الناس والحجر

ويتملكني العجب من هذه النفس الخلافة فنا، يخلق بها في سماء الكون ومخلوقاته، أعجب حقا من هذه النفس الشفافة كيف لم تصل بعد لهاديها؟ وبأسط رزقها في السموات والأرض؟ كيف لم تترق في درجات الإيمان رغم بؤسها وضعفها؟ هل الله يستأهل أن يدعى "وحش فاتك" يخيط أعين الناس حتى لا يروه؟ ما ينفع الفن إذا لم يحسن قربنا من الله، وتذوق أطايب العيش في ظلال الإيمان؟ لكنها النفس يعتورها الضعف، وتتأرجح بين اضطراب وحيرة وتردد، فتستلم لليأس تارة، والقنوط تارة أخرى خاصة في حالة شبيهة بحالة الشابي التي لم تعرف إلا الألم.

ولذلك نراه يعود فيستيقن جلال الله: إن من أصغى إلى صوت المنون وصدى الأحداث ليس تستهويه ألحان الطيور بين أزهار الربيع الساحرة، وابتسامات الحياة الساخرة عن جلال الله. "إن الشابي قد استبقى من التراث الديني قضية القضاء والقدر وحدها، وهذا أمر بيّن السبب، مئي الشابي بمرض، لا يرجى منه شفاء، فلم يستطع الثورة على حاله الطبيعية المرضية، كما ثار على حاله النفسية والاجتماعية.

إنه كان يظن أن كل شيء في العالم يمكن أن يتبدل إذا شاعت الإرادة الفردية أو الشعبية أن تبدله، ولكنه لما اصطدم بحقائق الحياة الطبيعية، ورسف في قيود المرض أدرك أن "هذه الإرادة" عاجزة عن تبديل ما قد جرى به الزمن الأول؛ فعاد يطمئن نفسه بصحة القدر، إن في الأبيات التالية إذعانا للقضاء والقدر ورضا بما جرى به القلم الأزلي:

مـا لـي تـعـذـبـني الحـيـا ة كـأنـي خـلـق غـرـيـب
وإذا سألت: لـم الـوجـود وكـلـه هـم مـذـيـب
قالـت: نـوامـيس السـمـاء قـضـت، ومـا لـك مـن هـرـوب؟^(٢٠)

ولم يزل الليل إنسانا يحاور، ويتهدد، ويصمت:

تتهـد الـليـل حـتى قـلت: قـد نـثـرت تـلك النـجـوم ومـات الجـن والبـشـر
وعاد للـصـمـت يـصـغـي فـي كـأبـتـه وعاد للـصـمـت يـصـغـي فـي كـأبـتـه

والليل عند الشابي "أبو البؤس":

أيهـا الـليـل يـا أبا البـؤس والأهـوا ل يـا هـيـكـل الحـيـاة الرهـيـب
فـيـك تجـثـو عـرائـس الأمل العـذ ب تـصـلي بـصـوتـها المـحـبـوب
فـيـثـير النـشـيد ذكـرى حـيـاة حـجـبـتـها غـيـوم دـهـر كـثـيـب
وتـرف الشـجـون مـن حـول قـلـبـي بـسـكـون وهـيـبـة وقـطـوب

"قالليل عنده رمز البؤس والهول وعذاب الجحيم، وأي عذاب؟! إنه عذاب المريض الذي تغلق عليه دائرة حياته ولا تنفتح إلا للألم والوجع".^(٢١)

ويكشف عن أهمية الليل:

أيـهـا الـليـل أنـت نـغم شـجي فـي شـفـاه الدـهـور بـيـن النـحـيـب
تـسـمـع النـفـس فـي هـدـوء الأمانـي رنـة الحـق والجمـال الخـلـوب
فتـصـوغ القـلـوب مـنـها أغـارـيـدا تـهـز الحـيـاة هـز الخـطـوب

ويرسم صورة جديدة للكون حين يرتمي بصدر الليل:

يـهـجـع الكـون فـي طمـأنـيـة العـصـفور طـفـلا بـصـدرـك الغـريـب
وبأحـضـانـك الرحـيـمة يـسـتـيقـظ فـي نـضـرة الضـحـوك الطـرـوب

بل أصبح الليل مرتادا لأحلام كل قلب:

إن فـي قـلـبـك الكـثـيـب مـرتـادا لأحـلام كـل قـلـب كـثـيـب
وبقـيـثـارة السـكـيـنة فـي كـفـيـك تـنـهـل رنـة المـكـرـوب
فـيـك تـنـمو زناـبـق الحـلم العـذـب وتـذوي لـدى لـهـيـب الخـطـوب
خـلف أعمـاقـك الكـثـيـبة تـنـساب ظـلال الدـهـور ذات القـطـوب
وبفـودـيـك فـي ضـفـائـرك السـود تـدب الأيـام أي دـيـب

ولاحظ معي تكرار لفظ " كئيب الكئيبة " ثلاث مرات و"المكروب" و"الخطوب" و"ذات القطوب"، فكلها تشي بحالة الحزن الذي ساد قلب الشابي وحياته، فأصبح معجمه اللغوي ينكئ عليها، ويتميز بها.

فإنها لغة شعرية تفرد الشابي بحياكتها، ومحاولة نثرها أو شرحها يسلبها جمالا وإيقاعا وتناغما، فلا يحسن تذوقها إلا إحساسا وإيقاعا، كما هي. ولا انتهاء ولا حصر لتجارب الشابي الإنسانية الراقية، التي تتفرد بهذا الفيض، والثراء على مستوى الألفاظ والعبارات، وعلى مستوى المضامين والأفكار والشابي من الرومانسيين القلائل، الذين عاملوا اللغة العربية بخصوصية نادرة، شفعت له ثقافته وإطلاعه بالأدب العربي والغربي؛ لذلك نجد ثراء واسعاً في استخدام الألفاظ ودلالاتها، بل هو يخضع اللغة لحالته النفسية المضطربة، المطردة، فتتسارع إيقاعاتها تسارعا عجيبا يتلاءم معها، وإن لم يتوافق مع قواعد اللغة وعروضها.

وقد سماها د. عمر فروخ بـ"النفس الشعري": "وأرى للشابي مقدرة جبارة غريبة على تنسيق الكلام وتأليفه حتى يصير موسيقى لانهائية تنبؤ عن القواعد كما هي نشأت عن غير مفروض البلاغة".^(٢٢) وعندما يقارن د. فروخ بين الشابي وأقرانه نجده يقضي بتفوق الشابي: "إن الشابي أبرع من جميع أقرانه الذين يذكرون معه في الفنون التي جرى فيها، وهو بلا ريب أشعر من جبران خليل جبران، وجبران ليس شاعرا، فمن الظلم للشابي أن ننسبه إليه أو أن نفاضل في الشعر بينهما".^(٢٣)

وقد يلتقي مع شعراء المهجر في رؤيته الشعرية وموضوعاته، ولعل نصوصنا المنتقاة سابقا تفصح عن مدى هذا الأثر، ويتسع المكان لدراسة خاصة لهذا.

ولن أستطيع المضي دون ذكر هذه الفلسفة الراقية عن "الناس" للشابي:

ما قدس المثل الأعلى وجمله	في أعين الناس إلا أنه حلم
ولو مشى فيهم حيا لحطمه	قوم وقالوا بخبث "إنه صنم"
لا يعبد الناس إلا كل منعدم	ممنوع ولمن حاباهم العدم
حتى العباقرة الأفذاذ حبهم	يلقي الشقاء وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينصفون الحي بينهم	حتى إذا توارى عنهم ندموا

والشابي هنا يكشف بواقعية وصدق ظلم الناس لأصحاب المواهب والقدرات المميزة الذين يقضون حياتهم دون أدنى تقدير لها، وإذا ماتوا أشادوا بأعمالهم وأبرزوهم، ويؤكد البحث على رمزية الطبيعة ومكوناتها ومنها الليل لمعان، يرمي إليها الرومانسيون، فكما ارتبط الليل بالحب، وشجونه، ارتبط ظلامه بالظلم والاستبداد.

"والليل معبر إلى اللانهاية وهذه ناحية صوفية في أدب الرومانتيكيين، وليس الليل الرومانتيكي صورة للموت خاليا من كل أمارات الحياة، ولكنه مليء بالأسرار والحركات المستمرة، ففيه تطوف الأرواح حول قبورها، وفيه تتحرك أشباح الخيال".^(٢٤)

وهنا وقفة مع تفاؤله الدائم بالحياة، ويرى من ظلام الكون بدءاً للنور؛ فهو يقول:

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات
إن التأمّل في الحياة يزيّد أوجاع الحياة
فدعي الكأبة والأسى واسترجعي مروح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء

إنها دعوة خاصة للتفاؤل والاستبشار بالحياة:

لـتـكـن حـيـاتـك كـلـهـا أـمـا جـمـيـلا طـيـيـلا
ولـتـمـلأ الأـحـلام نـفـسـك فـي الكـهـولـة والصـبـا
مـثـل الكـواكـب فـي السـمـاء وكـالـأزـاهـر فـي الرـبـى
لـيـكـن بـأـمـر الحـب قـلـبـك عـالـمـا فـي ذـاتـه
أزـهـارـه لا تـذـبل، ونـجـومـه لا تـأفـسـل.

وللَّيل عند إيليا رغائبه وأحلامه وسماؤه وكواكبه، فلم تجزع؟
لا فـرق عـنـد الـلـيـل بـيـن النـهـر والمـسـتـتـع
يخـفـي ابـتـسـامـات الطـرـوب كـأدـمـع الـمـتـوجـع
إن الجـمـال يـغـيـب مـثـل القـمـح تحـت البرقـع
لـكـن لـمـاذا تجـزـعـين عـلـى النـهـار ولـلـدجـى
أحـلامـه ورغـائـبـه وسـمـاؤـه وكـواكـبـه؟

ما أبدعه من وصف!، وأدقه من إحساس!، ويستقصي رؤاه في الليل مبينا أهم ما تميز
به وهو " الستر":

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهر الأريج ولا الميهاه خيرها
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها
والعنـدليب صـداحه، لا ظفره وجناحه

لهذه الأسباب جميعها، وبعد أن شرح وعلل، ونظم فأجمل، يطلب منها الإنصات:
فأصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح
واستنشقي الأزهار في الجنات ما دامت تقوح

لقد أصبح الحب لا يرى إلا وهو في حالة تمازج مع الطبيعة، فلا نستشعر جمال الكون
إلا ممثلا بهما وبالحببية:

وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان
لا تبصرين به الغدير، ولا يلد لك الحريـر

"لا يختلي الرومانتيكيون في الطبيعة ليفكروا ويستخلصوا الحجج، أو يحلوا مشكلات،
كلا، ولكن ليحلموا ويستسلموا لمشاعرهم"^(٢٥) ويعذب الفن، وتخترق الكلمة الجميلة شفافية
القلوب، فيسمو بها طين الجسد:

إذا أطل البدر من صدره
وإن شدا البابل في وكوره
وإن يفح عطر زهور الربى
فإنما يطلع كي تنظريه
فإنما يشدو لكي تسمعيه
فإنما يعبق كي تنشقيه

واستمع وتدوق هذا التمني الجميل:

يا ليتني البدر الذي تتظنرين يا ليتني البابل الذي تسمعين
يا ليتني العطر الذي تتشقين أواه.. لو تصدقين يا ليتني

لا أدري من أي معجم يقتبس إيليا ظلال كلماته، ومن أي تأليف يجمع عباراته، بل وكيف ينفث في ثنايا الحرف وهجا من نور، فنعيش اللغة معه من زاويتين من حيث هي لغة بحروف مألوفة، ومن حيث هي لغة مشحونة بهائل من العواطف المذابة، والرؤى الطامحة، والإبداع الخلاق.

وينتمي الشاعر المصري علي محمود طه إلى المدرسة الرومانسية، فهو من أعلام مدرسة أبولو، التي أثرت الشعر العربي باتجاهها الفني الجديد. وقد وصفه أحمد حسن الزيات: كان شابا منصور الطلعة، مسجور العاطفة مسحور المخيلة، لا يبصر غير الجمال، ولا ينفث غير الحب، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر، ويرقص عليها الفلك ونظم علي في جميع أغراض الشعر كالغزل والرثاء والمديح والفلسفة والحكمة والتأمل والطبيعة بجمالها الأخاذ.^{٢٦}

ولعله في ديوان "الملاح التائه" قد تجلت النزعة الرومانسية واضحة، فاسمعه وهو يخاطب الملاح:

أيها الملاح قم، واطو الشراعا لم نطو لجة الليل سراعاً
جذف الآن بنا في هيأة وجهة الشاطئ سيراً واتباعاً
فغدا يا صاحبي تأخذنا موجة الأيام قذفاً واندفاعاً

إنها رحلة الحياة الصعبة، التي تمتد ولا تعرف التوقف. وتغلب على شعره الحسية في الوصف، شأنه في ذلك شأن الشعراء الكبار، كالبحتري الذي وصف فائقن، وأبدع، بل عد الوصف عنده سجلاً تاريخياً لوقائع وأحداث وحضارات لولا الشعر ما عرفنا عنها شيئاً مثل وصف الأسطول البحري، وهذا لا يقل من قيمة الشعر، ولا من قيمة الشاعر، فكم أحننني ما كتبه المؤرخ الجليل! الذي تتلمذنا على يديه، واتخذناه نبراساً، يهدينا في دراساتنا الأدبية، والنقدية عند ما وضع عنواناً لمقاله عن شعر علي محمود "ضجيج الألفاظ الخلابة".

وكان مذبذب الرأي فمرة يقول: "إن هذه الخصائص إنما تعود في جملتها إلى خصائص لفظية، فليس علي محمود طه صاحب نزعة فلسفية في شعره، ولا هو صاحب نزعة نفسية، إنما هو صاحب لغة شعرية، تبعث النشوة في نفس سامعه وقارئه بألفاظها البراقة، وما تحمل من رنين يبدع فيه ويفتن"^(٢٧)، أحق أن الشعر لا يكون شعراً إلا بفلسفة؟ ألا يذكر احتجاج البحتري على المنطق حين قال:

كلفتمونا حـدود مـنطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبه

ومما لا ريب فيه أن أستاذنا د. شوقي قد بعد عن الموضوعية في رأيه، وأجحف الشاعر حقه، ونراه في ذات المقال يكتب: "وكانت للشاعر ملكة جيدة، يعرف بها كيف يجمع هذه الألفاظ، ويراكمها في الشعر؛ فتؤثر في سامعيه وكأنها تغلق الأبواب عليهم، فإذا هم وقعوا في شباكها"^(٢٨).

هذا اعتراف مهم بشاعرية علي محمود طه، وكأنه ندم، وعاد؛ ليهزأ بسامعيه، ولو علم أستاذي د. شوقي بمدى الأثر الذي خلفه في نفسي هذا المقال ما فكر في نشره قط!

إن الناقد النزيه يحاول الابتعاد قدر الإمكان عن التكرار دون طائل، ويتحرى الصدق والموضوعية في نقده؛ لأن الهدف هو الرقي بذوق المتلقي واحترام تجارب الشعراء، ود. شوقي ركز نقده على زاوية واحدة، ألا وهي الألفاظ، وكررها أكثر من مرة؛ مما أفقده صدقه، وسلب الشاعر ميزاته الأخرى.

ورغم ذلك فقد نال علي محمود طه شهرة أدبية واسعة النطاق، كان للموسيقار عبدالوهاب اليد الطولى في معرفته، حينما غنى قصيدته "الجنود"، كما تصدت الشاعر المعاصرة نازك الملائكة لدراسة عميقة لشعر علي محمود طه، وتوصلت إلى أنه ارتفع عن مرتبة الحسية إلى آفاق الروحانية، والفكر، والخيال.

ولعل عامل الزمن اليوم هو الحكم على شعر هذا الشاعر، وأنا لا أسوق دفاعي عن الشاعر بقدر ما استنكر حدة د. شوقي في نقده.

فقد صور حلم الأرض بعد نشوتها:

هذه الأرض انتشيت مما بها فغفت تحلم بالخلد خدعا
قد طواها الليل حتى أوشكت من عميق الصمت فيه أن تراعا

ويتعانق الليل بالحب والجمال؛ فيصبح الشاعر بالأحياء:

أيها الأحياء غنوا واطربوا وانهبوا من غفلات الدهر ساعا

ليعيشوا سحر الليلة:

أه ما أروعها من ليلة فاض في أرجائها السحر وشاعا
نفح بها الحب من روحه ورمى عن سرها الخافي القناعا
وجلا من صور الحسن لنا عبقريا لبق الفن صناعا
نفحات رقص البحر لها وهفا النجم خفوقا والتماعا

فالأرض وما تحمل تهتف بالحب:

وسرى من جانب الأرض صدى حرك العشب حنانا واليراعا
بعث الأحلام من هجتها كسرايا الطير نفرن ارتياعا
قمن بالشاطئ من وادي الهوى بنشيد الحب يهتفن اتباعا

ويوجه خطابه هذه المرة للمهاجر:

أدرك التائه في بحر الهوى قبل أن يقتله الموج صراعا
وارع في الدنيا طريدا شاردنا عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضل في الليل سراه ومضى لا يرى في أفق منه شعاعا
وامسح الآن على ألامه بيد الرفق التي تحو الدماغا

فإنها دعوة للحب مستمرة، فالحب روح الحياة، ورابطة الأمل في قلوب الناس، بل في قلب المؤمن بالله. ألم يقل إيليا: وبالحب قد عرفت الله؟!

وفي قصيدة "في القرية" يلتقي شاعرنا بأبي ماضي في فكرته، وتجسيده للطبيعة حين يطلب من فتاة الريف أن تغني، فاسمع قوله:

غني بأودية الربيع وطوفي
ولى خريف العام بعد ربيعته
وصفي الطبيعة يا فتاة الريف
ولكم ربيع مر بعد خريف!

"وحب الطبيعة هو الذي جعل بعض الرومانتيكيين يشيدون بالريف وأهله"^(٢٩) إنه الحنين للطفولة الغضة:

قومي عذاري الريف والتمسي الربى
وتفئتي الدوح الظليل ومربأ
غصن يطل الفجر من ورقاته
أين الغدير عليه يخلع وشيه
يا حبذا هو من مراح للصبيا
صور نزلن على بنان مصور
أغريرن بي حلم الطفولة والهوى
نضرا وغني بالغدير وطوفي
للفن تحت أزهار وقطوف
ويقبل الأنداء جد شغوف
صنع الأنامل رائع التفويف؟
والكوخ من مشتي لنا ومصيف
صورن من نسق أغر شريف
وأثرن بي ذكرى ليالي الريف

ومن الظواهر الفنية في شعر علي هذه البساطة في ألفاظه وعباراته، وهذه الصور المنتزعة من الطبيعة، فلا غلو ولا مبالغة في الوصف، بل نراه يتحرر من التزام القوافي، فينوع فيها ويشكلها تشكيلا يتناسب وحالته النفسية.

والقصيدة المختارة التالية هي من نوع خاص، وتركيبية موسيقية متفردة، وجمالها في قراءتها بصوت عال أولى من نثرها نقدا وتعليقا، فهي أميل للغنائية "أغنية ليالي النيل".

والليل عند الشعراء له وقع وسحر لا يضاهي؛ فهو النديم والسмир، وهو الملمم:
دنا الليل؛ فهيا الآن يا ربة أحلامي
دعانا ملك الحب إلى محرابه السامي

والدجى يتحول لَوْحِي من أناشيد وأنغام، تسري فرحته في الماء والشجر والسحب؛
فينادي شاعرنا محبوبته:

تعالني فالدجى وحيي أناشيد وأنغام
سرت فرحته في المماء والأشجار
ألا فلنحلم الآن فهذي ليلة الحب
على النيل وضوء القمر الوضاح كالطفل
جرى في الضفة الخضراء خلف الماء والظل
تعالني مثله نلهو بلثم الورد والطل
هناك على ربي الوادي لنا مهد من العشب
يلف الصمت روحينا ويشدو بأبلل الحب
يطوف بنا على شط من الأضواء مسحور
شراع خافق الظل على بحر من النور
تتأججه نجوم الليل نجوى الأعين الحور
وأنت على فمي ويدي خيال خافق القلب

فيا لها من ليلة حب تغري بالحلم! الذي يتمازج بصور الطبيعة وأشكالها من ماء، وعشب، وورد، وطل، وبلبل يشدو، وشراع يخفق.

ويرسم القصيد لוחات فنية كلها تدعو للحلم:
 ألا فلنحلم الآن فهذي ليليلة الحبيب
 ليالي الصيف أحلام تراءت للمحبين
 تغيب الخمر والساقى ويبقى سحرها فينا
 وهذا كأسها الوهاج صادح بأيدينا
 فهيا نشرب الليلة من نبع الهوى العذب
 ألا فلنحلم الآن فهذي ليليلة الحبيب

ولا ريب في أن قصائد علي محمود طه تميزت بانسيابية عجيبة قربتها من أفهام العامة، وجعلتهم يرددونها رغم احتفاظها بصحة اللغة وقواعدها، ولعل وحدتها الموضوعية والعضوية، مع تنوع قافيتها أضافت إليها غير قليل من التجديد، الذي لا يتنافى مع روح القصيد التقليدية، بل يمنحها طعما خاصا بمذاق خاص.
 إن لهدف الحس وشبوب العاطفة عند الرومانسيين أثرا عظيما في هيامهم بالطبيعة في جميع مظاهرها، فهم يريدون أن يستلهموها ويستوحوها أسرارها وأن يكون أدبهم صورة صدق للشعور الصادق بما يتجلى لإحساسهم من مناظرها؛ لذلك لا نستشعر قيمة التجارب الإنسانية عند الرومانسيين ما لم نر هذا التعانق الحبيب الجميل للنفوس الطاهرة، والعقول النيرة بين الحب والطبيعة، هذا الحب الذي بكى وأبكى، وأبهج وأنار دروب الحياة.

وفي الوقت الذي تباينت فيه تجليات الشعراء في العصور السالفة مع الليل، لوحظ أن تجلياتهم مع الليل في العصر الحديث كانت أكثر تباينا؛ فإنه ومع دقيق التأمل في ليل شعراء الأدب المعاصر الرومانسيين، فهناك وقفات محيرة، فهل الليل هو الليل نفسه الذي كان يراه هؤلاء، أم أنه يختلف في نظرهم؟

والليل لدى إبراهيم ناجي له مذاقه الخاص، فتارة مكنم الأسرار، وتارة مبعث الأحلام والجمال؛ فنراه يقول في قصيدته لقاء في الليل: (٣٠)

قالت: تعال، فقلت: لبيك هيهات أعصي أمر عينيك

يا لحظة ما كان أسعدها وهناء ما كان أعظمها

كشفت لعينينا وقد ومضت ظلمين مقنعين في السور
 وكان ضحكها وقد طربت قطرات ماء فوق بلور
 وكواكب ليست بمجدية ظلم مكدسة وأحجار

فنرى هنا الليل، حافظ الأسرار، ونراه يحقق لحظة من أسعد لحظات حياته. ونراه يبدع عندما يعلن أنه وهي ليلة (كشفت لعينينا)، فيورد بذلك تقابلية خلاقة، ثم ينساب في وصف محبوبته.

وتارة أخرى نجد الليل لديه شخصا غامضا، مجهولا، يعايش لحظات لقاءه بمحبوبته؛ فيقول في قصيدته (في معبد): (٣١)

على مذبحه المعبود قد دم طهرك الباقي
 نداءً بين عينيك كهذا الليل مجهول

يجابوبه حنينٌ ثار
فقلت الليل يا من كنت
لنغرق في دخان الجسم
فنام الضوء خجلانا
قريباً لا تنبهه
وكان الليل مرتيميا
تلصصاً صلاً يرنو
فشاع السرُّ بين الليل

ففي قلابي مخبـول
عند الليل قربانا
أشـجاناً وحرماننا
على مصباح نشوان
سوى أنبات تحنان
على النافذة الوسطى
إلى معبدنا الأسنى
والأنجم والزهر

فالليل مجهول غامض، إلا إنه شاخص في إنسان، وهو من عادات الرومانسيين، في تشخيصهم الطبيعة، وتجريدهم منها أشخاصاً، لهم صفاتهم المعنوية والمادية؛ فهذا الليل يرتمي على النافذة، وهو يراقب مشهد اللقاء بين المحبوبين.

ووقفه أخرى مع إبراهيم ناجي مع رائعته، الأطلال يقول:

يا لمنفين ضللاً في الوعور
كلما تقسو الليالي عرفاً
طرداً من ذلك الحلم الكبير للحظ
يقبسان النور من نفسيهما

دمياً بالشوك فيها والصخور
روعة الألام في المنفى الطهور
سوط السود والليل الضرير
كلما قد ضنت الدنيا بنور

فهنا يرى الليل شخصاً قاسياً، وهنا يقصد بها الأيام، وأحداثها، وإن غلب الليل على النهار، ليكسبها معنى الظلام والمخاوف، ويسميه مرة أخرى بالعمى والإنسان الكفيف. وفي قصيدته (الليل موعداً)، خصص الليل للقاء؛ لما فيه من ستر للأسرار، ومهتبل لبث المشاعر، والأحاسيس، فهو يقول:

طوى السنين وشقَّ الغيب والظلمة
يا ساري البرق من نجمين يومض
أجبت بي عتبات الخلد أم شركاً
وكيف يبرئني من لست أسأله
لو أن للموت أسباباً تقرُّبني
إنَّ الليالي التي في العمر منك خلت
تلقت القلبُ مكروباً لها حسراً

برقٌ تألَّقَ في عينيكِ وابتسماً
لي ماذا نُخبئُ لي الأقدارُ خلفهما
نصبت لي من خداع الوهم أم حلماً
بُراءً وأوثرُ فيه السُّهدُ والسَّقَمَا
إلى رضاك لهان الموتُ مقتحماً
مرتُ يباباً وكانت كلُّها عَقَمَا
وعضٌّ من أسفٍ إبهامه ندماً

وإن يمنا وجوهنا شطر، أحد أقطاب الرومانسية شاعر الكوخ محمود حسن إسماعيل نجده إزاء الليل، وهو يحمله مضامين الرومانسيين، فهاهو في قصيدته نداء الليل، يرى من الليل إنساناً له كيانه وإرادته، ثم يكشف لنا عن نفسه أنه هو الليل، (٣٣) فيقول: (٣٤)

إذا ما الليل ناداك
وغتّى حول دنياك
نشيد المغرب الباكي
فهبي وانشري عطرا
على أحلامك الحبرى
لعلّ جراحها تبرى

وكوني في الدّجى سحرا
يهزّ الليل إنشادا
ويسعد عمري الشّاكي
أنا الليل الذي نادى
وما غيّبت إلاك

...

أنا الرّوح الذي طار
ليبعث حين يلقاك
أنا الليل أنا الرّيح
أنا اللحن أنا الرّوح
فهات سحر نجواك

ولا غرو في ذلك؛ إذ هو يتحدث عن نفسه فيسمع ضمن ما يسمعه: " حيث سمعت من أنغام الطبيعة لغة الطيور التي كانت أول إيقاع موسيقي لم تتدخل فيه صنعة الإنسان، يحرك نفسي إلى الإصغاء لعالم الطبيعة، بكل ما فيه، حتى الجذوع الصامتة والليل الأخرس." (٣٥)

ثم نرى لديه الليل ما هو إلا ظاهرة طبيعية تهيمن على الكون: (٣٦)

قلت للماضي : أفق ... فاندفعت
ناره في الشرق روحاً وكيانا
شنها حرباً على أعدائه
أينما ظلّهمو في الأرض كانا
من شِعاب النيل هبّت يقظة
نورها لم يبق لليل مكانا
بارك الله خطاها فغدت^{٣٧}

ولكن كيف يتعامل شاعر من عظماء الشعر المعاصر، وهو محمود درويش مع الليل، هل وقعه يختلف عن واقع سابقه؟ أم أنه يسير في طريقهم ذاتها؟ ففي قوله: (٣٨)

وأنا أنظر خلفي في هذا الليل
في أوراق الأشجار، وفي أوراق العمر
وأحدق في ذاكرة الماء، وفي ذاكرة الرمل
لا أبصر في هذا الليل
إلا أخطر هذا الليل
دقات عمري تقضم عمري ثانية ثانية
دقات عمري تقضم عمري ثانية ثانية
لم يبق من الليل ومني وقت نتصارع فيه.. وعليه
لكن الليل يعود إلى ليلته
وأنا أسقط في حفرة هذا الظل

وليل محمود درويش هنا لا بدّ أن يختلف عن ليل سابقه، ومهما توقفنا عند ليل الشعراء إلا أننا نرى أن الليل يوحى لهم بزمن، وهمّ، وحياة، وفتور، وقلق، وظل، وظلام، وعدو، ومع ذلك يتجاوز البياتي ليله بقوله: (٣٩)

ودفنت في جنح الظلام صباحي
وحطمت من فزع الرؤى مصباحي
ونهزت في نهر الظلام مشاعري
حتى تخضب مأؤه بجراحي

وتبقى الرحلة مع الليل طويلة، وجميلة، ولحظة انتظار عند كثير من الشعراء..
وهكذا تمضي الحياة بي
أعيش في انتظار
هل..

لحظة مشرقة في ظلمات الليل
أو.. لحظة هادئة في غمرة النهار
والليل هنا خيمة شفافة ناعمة، فهذا الشاعر العربي غازي القصيبي يرى الليل باباً
من أبواب الحياة، ويقول في قصيدته الفجر الأحمر:٤٠

كانت تغني الشوق.. والليل...الخليجي.. وفلاحين مساها
اشتعل

وكنت في الليل الخليجي أحس
أنني

أخرج من عباءة الإعياء والفتور والملل
وأرتمي بين يديها
موجة من الجذل

وكما نرى خرج الشاعر هنا من الإعياء والفتور والملل إلى عالم الأحلام والحب
والمتعة والسرور، ومثل ليل غازي القصيبي كان ليل عمر أبي ريشة:
عمر ونعم ياخيام تُلْفَنِي صوب العبير ويا نجوم تسامري
نثراً شفاف الليل حول جدائل لمعانق وسواعد لمخاصري
يا طيب ما اختصرا رسالات الهوى فيه ويا طيب الصدى المتطاير

وقد يضيف بعض الرومانسيين على المناظر الطبيعية مظاهر آلهية، فيتحول حبه
إلى عبادة، ويزعم أنه يرى الله في الأشجار والرياح، والصخور والأزهار، والنسمات
والأمواج، وينتهي من ذلك إلى أن الطبيعة هي الصورة المحسوسة للألوهية، ومن هؤلاء
من يزعمون أن الله في الطبيعة أو هو الطبيعة، والشابي أقرب الشعراء الذين تمثلت فيهم
روح الرومانسية ومظاهرها.

نتائج البحث:

شكل الليل مصدر إلهام الشعراء على مدار الشعرية العربية، ولعل دارس القصيدة
العربية، قد لا يجد عناء في تتبع هذا الموضوع ضمن أولياته وتمظهراته الفنية.
فإن الليل باعتباره صديق الشعراء، وملاذاً آمناً للتعبير عن خلجات الصدر
ومكونات الروح، جعلت منه القصيدة رمزها ومرموزها المتخيل، القادر على نقل حزمة
الأحاسيس إلى رؤى وإيحاءات وصور بلاغية، حيث نجد الشاعر مبدعاً، يتقن في
تصوير الليل وشن طاقاته بالصور التشبيهية، التي تنقلنا إلى المناخ العام الذي كان
يعيشه الشاعر بكل صدق، ومن أهم ما توصل إليه من نتائج:

- الليل ظاهرة كونية عظيمة تتجلى فيها عظمة الخالق، واقتداره على تحقيق التوازن المنشود بين مخلوقاته. لليل فوائد جمة تتساوى فيها جميع المخلوقات، منها ما اكتشفه العلم الحديث ومنها ما يخفى.
- احتل الليل مكانا واسعا في قصائد الشعر العربي، وهو ما يدل على أنه من الموضوعات الشعرية التي أثارت مخيلة المبدع.
- اللؤلؤ في التجربة الشعرية يتلون بألوان الشاعر النفسية ورؤيته الذاتية؛ فيصبح في إطاره النفسي، متعدد الألوان، والسمات وذا أوجه متغايرة، تنسجم وحالات النفس، وتتعدد بذلك دلالاته، وتتباين تبعاً لتباين أوجه علاقات الشاعر به؛ ليصبح وجهاً آخر للأنثى، يمزج بالدلالات التي تتساق مع انفعالها، وحالاتها الشعورية المختلفة.
- الرومانسية مذهب شعري بارز كان له عظيم الأثر في إحداث التجديد في العصر الحديث على المستوى اللفظي والمستوى المعنوي.
- امتزاج ظواهر الطبيعة امتزاجاً لا نستطيع الفصل بينها في أدب الرومانسية.
- من أبرز خصائص الرومانسيين إسقاط معاناتهم، وخلع مشاعرهم على الطبيعة، فتصبح هي وهم كيانا واحداً.
- اتفق جميع شعراء الرومانسية في نظرتهم لليل، فهو الملهم والصاحب ومثير الإبداع والخلق، ولا يخلو نتاج شاعر منهم من الحديث عن الليل وأثاره.

Abstract

Allayl Fi Alshier Alruwmansii (analytical study critical)

By Mona Mohammed Abdullah Abuhmla

The night was filled with his expected home in the Arabic poems; which confirms that it is a poetic and inspiring theme of the imagination of the Arab creator. The Arab poets, including the old and the modern, addressed him, and most of the night appeared in romantic poetry. Why not? It is the forum of lovers if they meet, and their masculine, if they separate, and the phenomena of nature has been absorbed in a fluid flow, it is still in the romantic literature, and the most prominent features of romance drop their suffering and take off their feelings on the natural; But he did not see what he saw in others; they almost agreed in their view of the night, that he is inspiring and authoritative and creative creativity and literature; his poems came inlaid with the night and its effects on them, this research came to discuss the secrets of the night rhetorical, and literary in their poetry.

key words:

Self-literature, Romantic poetry, Comparative literature, Night.

الهوامش

(¹) ينظر: الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسين فهمي الشافعي، دار السلام، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٨م. وينظر: مفصل آيات القرآن ترتيب معجمي، تصنيف: د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

(²) اللؤلؤ في الشعر الجاهلي "ملاحمه ودوره الفاعل في أشعار الجاهليين: دنوال مصطفى إبراهيم، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٣م. ص ١٥

- (٣) المفضليات: المفضل محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، (د.ت). المفضلية ٣٦
- (٤) شرح المعلقات السبع: الزوزني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م. ص ١٨٩
- (٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩، (د.ت). ص ٢٥٣
- (٦) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦، (د.ت). ص ١٥٤
- (٧) شرح ديوان الفرزدق: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٣م. ج ٢/ ٦١٦
- (٨) شرح شعر المتنبي: ابن الأفلح، تحقيق: د. مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م. السفر الثاني/ ١٥٥
- (٩) شروح سقط الزند: التبريزي والبطلوسي والخوارزمي، تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ١٩٨٧م. ص ٣٣.
- (١٠) أبو الحسن الحصري القيرواني: محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج يحيى، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٣م. ص ١٤٣
- (١١) الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت). ص ١٥٨
- (١٢) ديوان فؤاد طوفان "وحدني مع الأيام"، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٧٤م. ص ١١٢
- (١٣) الرومانتيكية: ص ١٥٠
- (١٤) أبو القاسم الشابي "شاعر الحب والثورة" دراسة ومختارات: رجاء النقاش، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت). ص ٢٢
- (١٥) المرجع السابق: ص ٧٨
- (١٦) المرجع السابق: ص ٨٠
- (١٧) الرومانتيكية: ص ١٥٢
- (١٨) أبو القاسم الشابي: ص ٧٨
- (١٩) الشابي شاعر الحب والحياة: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م. ص ٤٧
- (٢٠) المرجع السابق: ص ٥١
- (٢١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (د.ت). ص ١٠١
- (٢٢) الشابي شاعر الحب والحياة، ص ٥٦
- (٢٣) المرجع السابق: ص ٥٨
- (٢٤) الرومانتيكية: ص ١٥٤
- (٢٥) المرجع السابق: ص ١٥٥
- (٢٦) مجلة الرسالة: مقال بعنوان: أحقا مات على محمود طه؟! أحمد حسن الزيات، العدد ٨٥٦ بتاريخ ١٩٤٩/١١/٢٨
- (٢٧) دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص: ١٠٣
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ١٠٥
- (٢٩) الرومانتيكية، ص ١٥٤
- (٣٠) شعر إبراهيم ناجي الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م. ج ١/ ٢٧
- (٣١) شعر إبراهيم ناجي (دراسة أسلوبية بنائية)، د. سعد الحيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٢٠
- (٣٢) شعر إبراهيم ناجي، الأعمال الكاملة، ج ٤/ ٢٤
- (٣٣) في الأدب الحديث: عمر الدسوقي، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٧٣م.
- (٣٤) الأعمال الكاملة محمود حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ج ٣/ ٤١٢
- (٣٥) محمود حسن إسماعيل: سلوان محمود وعزت سعد الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م. ص ٢٠
- (٣٦) التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل: د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٥م. ص ١١٥
- (٣٧) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، ديوان نار وأصفاد، ص ٩٥٤ - ٩٥٣

- (٣٨) ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٩١م. ص ٩
- (٣٩) ديوان البياتي: دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٥ ٢٧٨/٢
- (٤٠) غازي القصيبي، ديوان حديقة الغروب، العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٧، ص ١١٤
- مصادر البحث ومراجعته:**
١. أبو الحسن الحصري القيرواني: محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج يحيى، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٣م.
 ٢. أبو القاسم الشابي "شاعر الحب والثورة" دراسة ومختارات: رجاء النقاش، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت).
 ٣. الأعمال الكاملة: عبدالوهاب البياتي: دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
 ٤. الأعمال الكاملة محمود حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
 ٥. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦، (د.ت).
 ٦. تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٩، (د.ت).
 ٧. التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل: د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٥م.
 ٨. حديقة الغروب، غازي القصيبي، العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.
 ٩. دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (د.ت).
 ١٠. الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسين فهمي الشافعي، دار السلام، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م.
 ١١. ديوان الجداول، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٩٨٢.
 ١٢. ديوان فدوى طوقان "وحدى مع الأيام"، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.
 ١٣. ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٩١م.
 ١٤. الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
 ١٥. الشابي شاعر الحب والحياة: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
 ١٦. شرح ديوان الفرزدق: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
 ١٧. شرح شعر المتنبي: ابن الأفلح، تحقيق: د. مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
 ١٨. شرح المعلقات السبع: الزوزني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
 ١٩. شروح سقط الزند: التبريزي وآخرون، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.
 ٢٠. شعر إبراهيم ناجي الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م.
 ٢١. شعر إبراهيم ناجي (دراسة أسلوبية بنائية)، د. سعد الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
 ٢٢. الشعر العربي في المهجر أمريكا الشمالية، إحسان عباس ومحمد نجم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.
 ٢٣. في الأدب الحديث: عمر الدسوقي، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٧٣م.
 ٢٤. اللؤلؤ في الشعر الجاهلي "ملاحمه ودوره الفاعل في أشعار الجاهليين: د. نوال مصطفى إبراهيم، دار البازوري العلمية، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٣م.
 ٢٥. محمود حسن إسماعيل: سلوان محمود وعزت سعد الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
 ٢٦. مفصل آيات القرآن ترتيب معجمي، تصنيف: د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
 ٢٧. المفضليات: المفضل محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، (د.ت).